عندمـــا أكمـــل الرسالـــة

للدكتور / زهران جبر

اصطفى العلم بالخلود خفاجـــة ... كيف لا ... وهو قد حباه نتاجه
طلب الفقه ى اليفاعة غضـــاً ... منذ فجر الصبا ...يرود فجاجه
واستوى عوده فصار ضيـــاءً ... من نسيج البيان يعقد تاجـــه
عبقرى الزمان فكرا وعقـــلا ... عز فى الناس أن ترى أزواجـــه
جاحظ العصر .. والمؤلف فيض ... لدنى العطاء يزكى رواجـــه
ذلك الشامخ الفريد طباعـــاً ... ناصع القول مشرق الديباجـــه
حفظ الضاد فى الحشاشة كنـــزاً ... وسعى ما سعى وكان سياجـــه
فإذا حل كالنطاسى هنـــداً ... قوَم الشيخ فى اللسان اعوجاجـــه
وإذا شعَّ بالمغـــارب شمسـا ... استنارت به ربى قرطاجـــه
قامة لا تطال فى الفضـــل حتى ... عزَّ فى المصطفين مثل خفاجـــه
منتهى الشكر لا يفى لك بعضـاً ... من أيادٍ كفـــت يـــدا محتاجـــه
خصَّ بالحجة البليغة بالتنزيـــل ... يردى الخصوم عند اللجاجـــه
واستقام الفصيـــح بين يديـــه ... وهو الطب إن أراد علاجـــه
مبدع موسق المشاعـــر لحنـاً ... وإذا قال .. شاعر صناجـــه
ناقد نافذ البصيرة أستـــاذ ... لم تدنس سخائم أمشاجـــه
علم فى الأصول شيخ جليـــل ... وله فى الحديث ما لابن ماجـــه
لو تخيلت للمعالى بروجـــاً ... شاد شيخى على الذرا أبراجـــه
تنشر النور فى الدنى مشكـــاةً ... صاغ مصباحها وكان زجاجـــه
عند محرابه التلاميذ أفـــواج ... وهو يحدو إلى العلا أفواجـــه
يملأ الكأس من تجاريب عمـــر ... صافى الورد لم يعكر مزاجـــه
ما يشوب النفوس من نزعـــات ... توغر الصدر نارها الأججـــه
فإذا ما استقاه حب تعافـــى ... سر ذاك النمير يشفى اعتلاجـــه
كان يحنو على الجميع ويـــدى ... عندما تصعب الأمور انزعاجـــه

مشكل الرأى حين ينظـــــر فيه ... عذباً سائغاً يحيل أجاجـــــه
أمةً كان والتواضع سمـــــت ... وشهدنا على التقى منهاجـــه
اعتلى مقعد الفخار وأضحـــى ... عالمى الرؤى ، قوى المحاجـــه
علما فى الدعاة ينفى عن الديـــن ... زيف ذى الكيد مفخما أعلاجـه
أسد ينبرى هصورا غيـــــورا ... كلما خاص للتراث عجاجـــه
فارس ... صهوة اليراع مقـــال ... ألق أحكم النهى إسراجـــــه
يستبى مهجة العنيد فيرتـــــد ... عن الغى يقتفى إحواجـــــه
نسمة فى الرضا تميس حيـــــاء ... عاصف عندما يبين احتجاجـــه
يقبل الحق باعتزاز جميـــــل ... مقنع أينما يقيم حجاجـــــه
زاهدا .. عاش والثراء لديـــــه ... فى غنى النفس لا هوى ديباجـــه
كان للحلم مرفأ ومآبـــــا ... وعلى وجهه الرضا إبلاجـــــه
أيها الراحل المقيم ستبقـــــى ... خالدا فى قلوبنا الخلاجـــــه
ها هنا روحك النقية تزجـــى ... كل سطـــــر كتبته إلهاجـه
فى القصيد الفخيـــــم بل فـــى ... روعة النثر من يـــــد نساجـه
تنفخ الروح فى المداد فتســـرى ... فى التواليف روحك الوهاجـــه
عجبا للمنون حين تســـــوى ... فى الورى بالردى يلم خراجـــه
من لشرح الايضاح بعدك يـــــا ... شيخ ومن للمتلقى يقيم وشاجـه
كل ما للجمال بعدك حزنـــــا ... فى الدنى يسمع الدنى إنشاجـــه
لا لفقد النموذج الفرد فيمـــــا ... كنت تمليه متقنا إخراجـــــه
بل على الأزهر الحزين وقد أظلم ... الدرب من يضـــئ سراجـــه
وعلى عصرنـــــا اللقيـــط إذا ... هاج فتنة أينا يميت هياجـــــه
لك من قلبى الفطـــــير دعاء ... كلما أحكم الدجى إدلاجـــــه
جعل الله من ثراك جنانـــــا ... مورقات همت عليها مجاجـــــه
ومن الطيب ما يضوع بمســـك ... وبخور ورحيقات فلة متراجـــه
لم يوار الثرى الخفاجى لكـــن ... محتفى شد للعـــــلا معراجـه
عندما أكمل الرسالـــــة حقـــا ... عاد للخلد ... منعما أدراجـــه